

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

قسم اللغة العربية

النثر الفني في كلام الأعراب

من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي الثاني

أطروحة تقدم بها الطالب

لؤي سلمان راضي الشمري

إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذة المساعدة الدكتورة

ازدهار عبد الرزاق إبراهيم

الخاتمة :

لقد سعى البحث إلى الوقوف عند غصن من دوحة التراث الوارفة التي ما زلنا نستظل بها، فانصب جل اهتمام الدراسة على التعريف بنثر الأعراب وتوجيه الأنظار إلى أدبية نصوصه ، وفي ثلاثة فصول تلمسنا في الأول منها قضاياها الخارجية المتعلقة بروايته في ظروفها ورجالها ودوافعها ومصادرها فضلا عما رافق ذلك من آراء رصدنا من خلالها الإجماع على استحسان القدماء لكلام الأعراب وشغفهم به وحرصهم على تلقيه ، فضلا عن وقوفنا عند ما رافق الرواية من إشكالات وملابسات .

ثم تحولنا عن ذلك إلى مستوى آخر في دراسة نثر الأعراب اقتربنا فيه من نصوصه نتصفح موضوعاته وندرسها من خلال أربعة محاور توخينا فيها الإحاطة بأشكاله ومضامينه، ثم ولجنا دراسة خصائصه مركزين على ظواهر الإبداع اللغوي في أحاديثهم من حيث اللغة ألفاظ وتراكيب، ثم تلمسنا أبرز معطيات الصنعة البلاغية في عفويتها وعناصرها ، قبل أن نستعرض أنماط الصور البيانية الأكثر تداولاً في الاستعمال . و قد خلصنا من كل ذلك إلى نتائج يمكن أن نوجز الإشارة إليها بما يأتي :

- إن نثر الأعراب ظاهرة أدبية خصبة شغلت حيزا واسعا في الكثير من مصادر التراث العربي ، وتفرقت مادة غزيرة منها بين ثنايا الكتب يمكن أن تشكل العناية بها جمعا وتبويبا وشرحا توثيقا مجالا واعدة لجهود أخرى للبحث في هذا الموضوع ،مثلما يمكن أن تتابع في دراسات أدبية و نقدية متخصصة بعض قضاياها الأخرى من قبيل ما يتعلق بتلقي نصوصه أو أثرها في معاني الشعراء فضلا عن دراسة البنى السردية في أحاديث الأعراب.

- أشّر البحثُ هيمنة الرواية الشفوية على نقل مرويات نثر الأعراب قبل أن تستقر في المدونات الأدبية و مصنفات العلماء ، و تعاقب أجيال من علماء الرواية الأدبية واللغوية والإخبارية على حملها ، واتصال جهودهم في هذا المضمار بدوافع متنوعة أسهمت بمجملها في حفظ هذا الجزء من

تراثنا النثري، مع بروز جهود بعض الرواة الذين أسهموا بنصيب وافر في الاهتمام بحفظ نصوص نثر الأعراب وتداولها.

• أشّر البحث مزاجاً نقدياً محفزاً للرواية ، برزنا من خلاله إجماعَ القدماء على استحسان كلام الأعراب والإعجاب به، وانعكاس ذلك في مواقف مختلفة تباينت قيمتها وتنوعت مضامينها، و تراوحت بين آراء عامة في إطرء كلام الأعراب والثناء عليه ،يلوح فيها الانفعال الآني المصاحب للتلقي بما يؤشر التذاذا بالاستماع إليه، وبين آراء انطباعية لأدباء وبلغاء تلامس أحيانا بعض خصائص نثر الأعراب وتلتقي مثل غيرها عند الإعجاب والتنويه به، فضلا عن بعض اللمحات النقدية الخاصة بتتبع ما أخذه الشعراء من كلام الأعراب .

• رصد البحث أبرز الإشكالات التي رافقت رواية نثر الأعراب وخلص من دراسة أهم الظواهر المرتبطة بها وتحليلها ، إلى ضرورة الحذر وعدم التسليم بكل ما ينسب إلى الأعراب في المصادر من جهة وتنزيه بعض من طعن عليهم من علماء الرواية البارزين في مجال رواية أحاديث الأعراب .

• تضمن نثر الأعراب أشكالا شفاهية متنوعة تصنف إجمالاً ضمن الأحاديث مع ملاحظة تنوع الفنون والأشكال التي تشتمل عليها أحاديثهم، وقد تم تناولها بالدراسة ضمن أربعة محاور موضوعية استوعبت سائر أغراض كلامهم ، و أوضحنا اتصالها الوثيق بشؤون حياتهم المختلفة وطبيعة الظروف والأحوال والمواقف التي رشحت عنها، وانعكست تنوعاً في مضامين موضوعاتهم التي برز الطابع البدوي واضحاً في أغلبها ولاسيما في موضوعات الوصف المختلفة، إلى جانب ما أشرناه من آثار إسلامية في ثقافتهم شكلت أبرز ظواهر التطور على مستوى الثقافة التقليدية التي توارثها الأعراب عن أسلافهم .

• إن طبيعة التوظيف الفني للغة في نثر الأعراب يتصل في جوهره بمهارتهم

اللغوية ، وذوقهم البلاغي ، ومن هنا فقد ركز البحث في دراسة خصائص نثر الأعراب على ملامسة أبرز الظواهر الأسلوبية التي عكست خصوصية الأداء وفنيته ، وهكذا وجدنا أن لغة نثر الأعراب قد أفصحت في خصائص ألفاظها و تنوع أساليب صياغة تراكيبيها - تبعا لطبيعة الموضوع و غاية المتكلم وحال المخاطب- عن مستوى رفيع من الفصاحة و المقدرة البلاغية التي مكنتهم من الملاءمة في الكلام بين المعاني التي يعبرون عنها والأساليب المستعملة في أدائها ،وأعانتهم على الاقتصاد اللغوي، فكان هذا الاقتصاد وتلك الملاءمة و الفصاحة من أبرز مقومات الجمال في لغة نثر الأعراب ، ومن الأسباب الرئيسة للإعجاب به والتلذذ بسماعه ،إلى جانب مظاهر الانزياح البلاغي المختلفة التي شكلت سمة أسلوبية واضحة تعد إحدى مقومات فنية التعبير اللغوي في نثر الأعراب . إلى جانب عناصر الترميق اللفظي والمعنوي التي توافرت عليها صياغاتهم اللغوية ليرتقي عبر كل ذلك كلامهم في درجات سلّم البلاغة العالية والأدب الرفيع .

• عززت عفوية المهارة البلاغية في نثر الأعراب القيمة الفنية لأساليب الصنعة اللفظية والمعنوية التي توافر عليها ، فوجدنا لديهم ظواهر صوتية شحنت أحاديثهم بأنغام وإيقاعات صوتية زادت خطابهم وضوحا وقوة، وكشفت عن براعتهم و سعة ثقافتهم ودقة حسهم وثراء خزينهم اللغوي ، وكان في مقدمة تلك الأساليب السجع الذي يعد ظاهرة أسلوبية واضحة ،إذ غالبا ما يجنحون نحو توظيفه في كلامهم ولكن بعيدا عن التكلف و الإسراف ، ويلي ذلك أسلوب التكرار بصوره المختلفة التي شكلت رافدا موسيقيا بارزا غالبا ما يثريه التقاؤه بالسجع في كلامهم، فيما يكاد يقتصر استعمالهم التجنيس على الصيغ غير التامة ، والاشتقاقية، في حين عكس تنوع روافد التضمين فضلا عن الاقتباس ما تزخر به ثقافتهم من عناصر أدبية ودينية حرصوا بشكل متفاوت على توظيفها في أحاديثهم .

• على الرغم من تمثل اغلب الأعراب لخصائص ثقافة البادية على مستوى ما تداولوا في أحاديثهم من قيم ومعان و أفكار ، إلا أن ذلك لم يحل دون نفاذ

معطيات إسلامية وحضارية يلوح فيها اثر بيئات التمدن التي وفدوا عليها ، فأشر البحث تداخل قيم البداوة مع بعض تلك المضامين الجديدة التي كان من أبرزها وضوح الحس الديني في أحاديث بعضهم، فضلا عما ألموا به من أفكار ومعان جديدة أفرزها احتكاكهم بمظاهر الحضارة في بعض المدن والحواضر التي وفدوا عليها لأسباب مختلفة وفي ظروف شتى .

- لقد أشر البحث اهتمام الأعراب الواضح بتوظيف التضاد الدلالي في الخطاب لصالح إبراز المعاني وإكسابها القوة والوضوح ، وذلك من خلال ما يلاحظ من شيوع استعمالهم أسلوب الطباق والمقابلة في التعبير عن مقاصدهم المختلفة .

- شكلت الصورة البيانية احد مظاهر الإبداع الفني في أحاديث الأعراب ، حيث وقفنا على كثرة استعمال الصورة التشبيهية لديهم واتصالها غالبا بالمحيط البيئي في تكويناته المختلفة، ولاسيما مظاهر الطبيعة الحية والجمادة التي ألفوها ، وينسحب ذلك على بقية أنماط الصورة البيانية التي وقفنا من خلالها على كثرة الكنايات في مقابل الاستعارة التي شكلت مع قلتها لمحات فنية دالة على قوة خيالهم البدوي و ثرائه.